Abdul - Qaher Al - Jarjani Al - Nahawi Al - Balagi (A Study in the Light of the Theory of Geogenic Systems)

Mohammad Jassim Mohammed Abbas Al – Husseini
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Babylon University, Babil Province, Iraq
mohm.jassim2019@gmail.com

ARTICLE INFO
Submission date: 8/5/2019
Acceptance date: 16/5/2019
Publication date: 8/12 /2019

Abstract

The purpose of this research is to shed light on the relationship between the Sheikh Abdul Qahir Al-Jarjani, the grammarian and the grammarian, through his well-known theory of systems theory, which put many answers to questions that were controversial and taken among all Arab scholars, Which was published by Al-Jarjani in his book "Evidence of Miracles", in which he revealed the rules that the regime must follow, especially the grammatical rules which serve the purpose of the speech. Hence, it was a combination of the grammar and the grammatical meanings.

Keywords: systems, systems classes, eloquence, meanings of grammar, miracles

عبد القاهر الجرجاني النحوي البلاغي (دراسة في ضوء نظرية النظم الجرجانية)

محمد جاسم محمد عباس الحسيني
قسم اللغة العربية، كلية الاداب، جامعة بابل، محافظة بابل، العراق

الخلاصة

يهدف هذا البحث الى تسليط الضوء على العلاقة التي أرسى قواعدها شيخ النحاة عبد القاهر الجرجاني بين علم النحو وعلم البلاغة من خلال نظريته المشهورة (نظرية النظم) التي وضعت كثيرا من الأجوبة عن أسئلة كانت مثار جدل واخذ ورد بين علماء العربية قاطبة وصولا الى اهم الأسس والقواعد التي وضعها الجرجاني في كتابه (دلائل الاعجاز) والتي كشف فيها النقاب عن قواعد اوجب على الناظم اتباعها ولاسيما اتباع قواعد النحو المتخيرة والتي تخدم الغرض الذي سيق اليه الكلام ومن هنا كانت المزاوجة بين علمي النحو ومعاني النحو والذي يعرف عند البلاغيين بـــ (علم المعاني).

الكلمات الدالة: النظم، مراتب، فصاحة، معاني النحو، الاعجاز.

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)
Creative Commons Attribution 4.0 International License

1- المقدمة

الحمد لله العلي القدير والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ص) وعلى اله الطيبين الطاهرين من الارجاس وعلى اصحابه الذين اصطفاهم الله تعالى لرسوله (ص) من بين الناس

اما بعد:

لقد كنت اعهد في نفسي اني كنت على دراية بنظرية النظم وما تنطوي عليه من أفكار واسس ومباحث.

فقد كشف لي هذا الموضوع رؤىً جديدةً وافكاراً تصحيحيةً لما ظننتُه من قبل صحيحاً واتضح بطلانه وارجو ان يعذرني القارئ سلفاً على الهفوات التي يراها في قراءتي هذه لما يعلمه من صعوبة فهم الطريقة التي كانت يفكر فيها عبد القاهر الجرجاني فقد ذهبت في القراءة لنصوص الجرجاني كل مذهب واتعبني ما وجدت من اراء وقراءات وتخبطت يمنة ويسرة في وضع خطة شاملة ومخصصة للعنوان فجاء البحث على تمهيد وفصلين.

اما التمهيد فقد عرضت فيه لأسم الجرجاني وترجمته ومكانته والفصل الأول تضمن تعريفاً لنظرية النظم واهم الأدوار التي مرت بها النظرية وصولاً الى الجرجاني في القرن الخامس الهجري كما تضمن ايضاً مراتب النظم واهمية النظرية .

اما الفصل الثاني فقد ضم علاقة الجرجاني بعلم النحو، واهمية علم النحو، وعلاقة النحو بنظرية النظم.

2- التمهيد:

عبد القاهر الجرجاني (471) هـ

فقيه شافعي ومتكلم اشعري نحوي مشهور اخذ النحو بجرجان عن ابي الحسين محمد بن الحسن الفارسي، وكان الجرجاني من كبار أئمة العربية صنف المغني في شرح الايضاح في نحو ثلاثين مجلداً، والمقتصد في شرح الصغير، وكتاب تتمة العروض، والمفتاح، ودلائل الاعجاز، وشرح الفاتحة في مجلد، واسرار البلاغة، وله العمدة في التصريف الجمل، والتلخيص، وله شعر جيد.

وذكر ابن تغري بردي ان الجرجاني شيخ العربية في زمانه وكان اماماً بارعاً مفتناً، انتهت اليه رياسة النحو في زمانه، كما كان قدوة في فن البلاغة وهو المرجع فيها وكلامه حجة مطلقاً.[1]،[2]، [3]،[4]،[5]،[6].

لقد كان عبد القاهر ذا شخصية فريدة في تناوله القضايا النحوية واللغوية والنقدية والبلاغية فلم يشأ ان يكون في تناوله لتلك القضايا نحوياً او بلاغياً او لغوياً او متكلماً صرفاً في مبحث الاعجاز القرآني ولكنه أراد ان يكون ذلك كله في هيئة متكاملة وان يرسم صورة مثقف عاش في القرن الخامس الهجري استطاع ان يغير من معطيات الإضافة والرؤى الأدبية واللغوية والفكرية التي توافرت في تلك البيئة الثقافية المميزة.[7]

ولو تأملنا كتاب دلائل الاعجاز لرأينا الجرجاني لم يجعل له تقسيماً حاسماً في أبواب او فصول متمايزة وادى ذلك الى بقاء الكتاب أداة طبيعية للباحثين في النحو والنقد والبلاغة والاعجاز عبر العصور، إضافة الى صيغته التعليمية الحوارية التي اتقن فيها أساليب الجدل التي تكشف عن قدرته في المحاورة قبل اتخاذ أي موقف في مسألة من المسائل.[7]

3- نظرية النظم

النظم لغة: هو التأليف وضم الشيء الى شيء اخر، يقال نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله، والنِظام بكسر النون الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ.[8]، [9].

ومن المجاز نظم الكلام وهذا نظم حسن وانتظم كلامه وامره ليس لامره نظام اذا لم تستقدم طريقته.[10]

ويقال نظم القرآن أي عباراته التي تشتمل عليه المصاحف صيغة "لغة" ومن كل شيء ماتناسقت اجزاؤهعلى نسق واحد.[11]

والمعنى المشترك بين هذه العبارات هو ضم شيء الى شيء وتنسيقه على نسق واحد وهذا المعنى هو ما ذهب اليه الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز.

4- النظم اصطلاحاً

هو تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها سبباً من بعض.[12]

5- نظرية النظم السيرورة والصيرورة:

لابد ان نلتمس الجذور الأولى لهذه النظرية وذلك في المؤلفات العربية وغير العربية فأننا نجد ان ارسطو يعقد فصلاً في كتابه (فن الشعر) يتحدث فيه عن اقسام الكلمة والفروق بين اقسامها والمقاطع والحروف والاصوات التي رآها ضرورية في البلاغة.[13]

كما تحدث أيضا في كتابه (الخطابة) عن مراعاة الروابط بين الجملة والأسلوب وحذف أدوات الوصل والتكرار ومعنى ذلك ان ارسطو اتخذ من هذه الموضوعات اساساً في دراسته الأساسية.[14]

كما ذكر د.احمد خليل ان الهنود عنوا بنظرية النظم معللاً ذلك فيما أورده الجاحظ من الصحيفة الهندية وما جاء فيها من أصول تتصل بالأسلوب والخطيب وصفاته، وكذلك ما اورده البيروني في تأريخ الهند ووصفه للمحاولات البلاغية التي كانت تتصل بفكرة اعجاز كتابهم الديني.[15]

اما بذور الفكرة في كتب العربية فأقدم إشارة عثرنا عي عبارة ابن المقفع (134هـ) التي أشار فيها الى صياغة الكلام بقوله: (ان احدهم وان حسن وابلغ ليس زائداً على ان يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتا وزمردا ومرجاناً فنظمه قلائد وسموطاً وأكاليل ووضع كل فص موضعه وجمع الى كل لون شبهه مما يزيده بذلك حسناً.[16]

اما سيبويه (180هـ) فقد تحدث عن معنى النظم وما يؤدي الى صحته وفساده فقال: " هذا باب الاستقامة من الكلام والاحالة فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب ومستقيم قبيح"[17]

فسيبويه يجعل مدار الكلام على التأليف في العبارة وما فيها من حسن او قبح ووضع الالفاظ في غير موضعها دليل على قبح الكلام.

ان جذور الفكرة نجدها ايضاً عند الجاحظ [18] (255هـ) وابن قتيبة [19] (276ه) والرماني[20] (386ه) والخطابي (388ه) الذي يرى " ان القرآن انما صار معجزاً لانه جاء بأصح الالفاظ في احسن نظومالتأليف مضمناً اصح المعاني وان عمود هذه البلاغة هو وضع كل نوع من الالفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص به "[21]

اما القاضي عبد الجبار الاسترابادي (415ه) فقد كان اكثر وضوحاً في تناوله النظم فقد عرض للفكرة في كتابه (المغني) فرأى ان الفصاحة والبلاغة تقومان على ضم الكلمات وتقارنها".[22]

واذن فأن هذه الفكرة أصبحت منظمة ولها منهج واضح وكذا لفظة (النظم).

6- النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

الف عبد القاهر في علم النحو الا ان شهرته كانت بكتاباته البلاغية اذ استطاع ان يضع نظريتي علم المعاني والبيان وضعاً دقيقاً، كما عرض لفكرة اعجاز القرأنليخلص منها الى فكرة النظم [23] التي خصص لعرضها كتابه دلائل الاعجاز فقد أصبحت هذه الفكرة من اهم وجوه الاعجاز خطراً عنده فهو لا يرى الصواب في غيرها.[24]

والنظم عنده: تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها سبباًمن بعض او هو توخي معاني النحو.[12]

والتعليق في النظم يقصد به العلاقات التي ينشئها المتكلم بين الأبواب النحوية ويبنى بعضها على بعض وجعل هذه بسبب من تلك.[12]

فتتحول من بناها المجردة الى بنى محسوسة معبرة عن معنى المتكلم فمعرفة البنى المجردة والمحسوسة للعلاقات النحوية واجبة النظم في النظم.[25]

لقد لخص عبد القاهر علاقات الكلم الجارية على قانون النحو التي بها يكون النظم في قوله "الكلم ثلاث اسم وفعل وحرف وللتعليق فيما بينهما طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة اقسامتعلق اسم باسم، واسم بفعل، وتعلق حرف بهما" .[12].

واحتمالات توالد الجمل داخل هذه الأقسام لا نهائية فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبراً عنه او حالاً منه او تابعاً له او صفة او توكيد او بدلاً، او بأن يكون الأول مضافاً الى الثاني او بأن يعمل الأول في الثاني عمل الفعل ويكون الثاني في حكم الفاعل المفعول او بأن يكون تمييزاً، اما تعلق الاسم بالفعل فأن يكون فاعلاً له او مصدراً قد انتصب به او ظرفاً مفعولاً او ان يكون منزلاً من الفعل منزلة المفعول وذلك في خبر كان واخواتها والحال والتمييز، اما تعلق الحرف بهما فعلى ثلاثة أضرب: الأول ان يتوسط بين الفعل والاسم، والثاني تعلق الحرف بما تعلق به العطف، الثالث التعلق بمجموع الجملة كتعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه.[12]

هذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض وهي معاني النحو واحكامه ويظهر منها ان الكلام لا يكون من جزء واحد فلابد من مسند ومسند اليه وهما ركنا الجملة الأساسيان.

فندرك ان عبد القاهر اعتمد النحو التقعيدي اساساً لادراك القيمة الحقيقة للصياغة وما يمكن ان يتيحه هذا النحو من إمكانات تركيبية تقترب من الانسان ومقاصده الواعية، كما تبدو لنا طريقة الجرجاني المتكاملة في التحليل النحوي التي تهدف الى ادراك علاقة الكلمة بغيرها.[26]

" ثم بين الجرجاني ان هذا النظم يشتمل على ما في الكلام من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وفصل ووصل وعدول عن اسم الى فعل وعن صيغة الى أخرى وغير هذا من سائر أحوال الكلمة اذا الفت مع غيرها لتفهم"[27]

وسمى الجرجاني هذه الموضوعات بمعاني النحو او النظم. كما أشار سيبويه الى موضوعات المسند والمسند اليه والامتياز والاستفهام والامر والنهي وأساليب النداء والايجاز وأشار الى التشبيه والبيان.[12]

وحدد الجرجاني النظم بقوله " ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واحواله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها فلا تخل بشيء منها، ذلك انا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم

بنظمه غير ان ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر (...) وفي الحال (...) فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له"[12]

وليس في شك في ان الجرجاني استوعب كل الأفكار التي سبقته في هذا الموضوع وحاول ان يخرج بنظرية لا تفسر الاعجاز القرآني وحسب وانما النص الكلامي الرفيع شعراً كان ام نثراً وعلى هذا يجمع الدارسون على ان الجرجاني جاء بنظرية تطابق احداث ما وصلت اليه النظريات الحديثة في علم اللغة.[28]

" ان منهج الجرجاني يستند الى نظرية في اللغة تماشياً مع ما وصل اليه علم اللسان الحديث حين قرر المؤلف ما يقرره علماء اليوم من ان اللغة ليست مجموعة الفاظ بل مجموعة من العلاقات".[29]

فمعاني النحو او النظم هي معرفة الفروق بين الأساليب والفرق ليس فرقاً في الحركات وما يطرأ على الكلمات وانما في معاني العبارات التي يحدثها ذلك الوضع والنظم الدقيق فليست العمدة ان نعرف قواعد النحو وحدها بل ما تؤدي اليه هذه القواعد والأحوال.

مراتب النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

النظم عند عبد القاهر الجرجاني اربعة مستويات:

1-منه لا ترى المزية فيه الا بعد قراءة القطعة الشعرية كاملة كقول البحتري:

بلونا ضرائب من قد نرى فما ان رأينا لفتح ضريبا
هو المرء ابدت له الحادثا ت غرماً وشيكاً ورأياً صليبا
تنقل في خلقي سؤدد سماحاً مرجّى وبأساً مهيبا
فكالسيف ان جئته صارفاً وكالبحر ان جئته مستشيباً

ففي هذه الابيات تلاحقت الصور وضم بعضها الى بعض.

2- ومنه ما يهجم الحسن عليك منه دفعة واحدة حتى يعرف من البيت الواحد مكان الشاعر من الفضل وموضعه من الحذق ويشهد له بالفضل حتى يعلم ان البيت من قبل شاعر فحل وانه خرج من تحت يد صنّاع.

3- ومن النظم ما يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع وذلك ان تتحد اجزاء الكلام ويدخل بعضها ببعض ويشتد ارتباط ثانٍ منهما بأول وان يحتاج في الجملة الى ان توضع في النفس وضعاواحداً او ان يكون فيها حال الباني يضع بيمينه في حال ما يضع بيساره هناك.

4- ومنه ما لايحتاج الى فكر وروية لكي ينتظم بل سبيله في ضم بعضه الى بعض سبيل من عمد الى لآلٍ فخرطها في سلك لا يبغي اكثر من ان يمنعها من التفرق وكمن نضد الاشياء بعضها الى بعض لا يريد بنضده ذلك ان تجيء له من هيئة او صورة، وذلك اذا كان المعنى لا يحتاج ان يصنع منه شيء غير عطف لفظ على مثله ولا بد ان يتغير المعنى بتغيير النظم وفي ذلك مجال رحب يجول فيه المنشئون.[12]

7- أهمية النظم عند عبد القاهر:

اصبحت نظرية النظم من اهم وجوه الاعجاز خطراً عند الجرجاني اذ انه رأى فيها الصواب ولا يراه في الخروج عنها.[23]

وهي نظرية في تحليل العلاقات القائمة في الاسلوب الأدبي المتميز اذ ان المزية والفضل في اي اسلوب تابع من طريقة التركيب والتأليف اي من العلاقات التي يقيمها الكاتب بين الفاظه ولذا يتميز كاتب من اخر بأسلوب وطريقة نظمه، وبشكل آخر ان الكاتب لا يستطيع ان يتصرف في قواعد اللغة العربية لأنها الزامية اما قواعد التركيب والنظم فحرية التصرف للكاتب لا متناهية.[28]

فالجرجاني حين يتحدث عن فضل النظم وتفضيل نظم على اخر فان مقياسه سيشمل البنيتيين المجردة والمحسوسة للنحو (القانون ومعناه) فأن (القانون) تعرف به الصحة من الخطأ، اما (معنى القانون) لمعرفة القصد الدقيق والمزية فهو يقول:" فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه ان كان صواباً وخطؤه ان كان خطأً الى النظم ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو معنى من معاني النحو قد اصيب به موضعه (...) فلا ترى كلاماً وصف بالصحة في نظمه او الفساد او وصف بمزية او فضل فيه الا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد الى معاني النحو واحكانه".[12]

والنظم في جوهره يتصل بالمعنى من حيث هو تصور للعلاقات النحوية كتصور العلاقة الاسنادية بين المسند والمسند اليه وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول، وتصور علاقة السببية بين الفعل والمفعول لأجله، ثم تأتي المزية من وراء ذلك بحسب موقع الكلمات بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض.[30]

8- علاقة الفصاحة والبلاغة بالنظم:

لم يفرق عبد القاهر بين المصطلحين فنراه يميل الى استعمال الفصاحة مرادفة" للبلاغة في مواطن كثيرة فهما في رأيه لا يرجعان الى اللفظ وانما الى النظم وكيفيات الصياغة وصورها وخصائصها اذ يقول: " لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها مما يفرد بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل والمزية اليه دون المعنى فينبغي ان ينظر الى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل ان تصير الى الصورة التي بها يكون الكلام اخباراً وامراً ونهياً واستخباراً وتعجباً وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل الى افادتها الا بضم كلمة اخرى وبناء لفظة على لفظة.[12]

نخلص من هذا الى ان لفظتي الفصاحة والبلاغة لم تتخصصا حتى عهد عبد القاهر بمعنيهما الاصطلاحيين لذا نراه يستعملهما مترادفتيين.

9- عبد القاهر الجرجاني وعلم النحو:

لقد استوعب عبد القاهر قوانين النحو وبرع في تعليمها وتلقينها وسردها في مؤلفات كثيرة وعلى الرغم من ان معيارية اللغة الفصحى في المسائل الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية من الامور المهمة للغلة التي تحفظ لها استمراريتها وتوفر شرط تواصلها بين القديم وما يستحدث من العصور اللاحقة فقد استطاع الجرجاني ان يخرج بالنحو من دائرته الضيقة المغلقة ويوجه الانظار في بيئة القرن الخامس الهجري الى الدرس التحليلي للكلام، فالنحو قد تحول عنده الى دراسة التعبير – او ما يعرف حديثاً بالاسلوبية– وهو فرع من الدرس ليس كسائر ما اعتاده الناس من مراجعة القواعد وامثلتها ومشكلاتها النظرية.[7]

لقد هاجم الجرجاني النظرة الخاطئة لعلم النحو هجوماً عنيفاً نراه في ثنايا كتابه دلائل الاعجاز مؤكداً ان الفهم الخاطيء لطبيعة النحو هو الاساس الفاسد الذي بُني عليه التفكير المنطقي المجرد الذي لا يلتفت الى ما يحمله النحو من معانٍ هي جوهر الاحساس والفكر.

لقد كان الجرحاني بحملته هذه يبغي الوصول الى فهم صحيح للنحو يخالف ماذهباليه معاصروه الذين نظروا الى النحو على انه ضرب من التكلف وباب من التعسف وان مازاد على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك فهو فضلة لا تجدي نفعا ولا تحصل منها فائدة.

اما النحو الجرجاني فهو الذي يفتح الالفاظ المغلقة على معانيها وهو المعيار الذي يعرف به فضل الكلام على كلام اخر فقواعد النحو لم تعد جافة مقصورة على الاعراب وانما اصبحت مقياساً يُهتدي به في

البراعة ووسيلة من وسائل التصوير والصياغة التي يتفاوت الشعراء في التسابق فيها وهنا فأن عبد القاهر فهم النحو وأعاد الى اللغة مكانتها وبين قدرتها العجيبة على تأدية المعنى المراد بوساطة الصياغة الفنية الحقة.[31]

وبهذا فأن نظرية النظم الجرجانية تستند على النظر الى النحو نظرة مخالفة للتصوير السائد الذي لا يرى في النحو اكثر من الحركات الاعرابية التي تلتصق بأواخر الكلمات وهو يعرف ما يمكن ان يسمى بـــ (نحو المعاني).[32]

ومعلوم ان الابواب النحوية يمكن احصاؤها ولكن مما يستحيل احصاؤه هو بناها المحسوسة اي معانيها النحوية لذا فأن الجرجاني يشير الى الابواب ويمثل على بعض اجراءاتها في الكلام على نحو باب الفصل والتقديم والتأخير والعطف وبعض الادوات ويعرض لها في مواضع مخصوصة من سياقات الكلام ليخلص الى موضعها ومعناها العجيبين في القرآن.[12]

10- أهمية النحو عند عبد القاهر الجرجاني:

يرى الجرجاني في التجريدات النحوية وسيلة كيفية يستعان بها على انتاج الدلالة من اللفظ وصولاً الى ابراز الغرض الاعم من التركيب بالوسيلة نفسها بل ان هذه الوسيلة الكيفية يمكن اتخاذها اداة نقدية لبيان اوجه النقص والكمال في الصياغة .[30]

لذا يعد النحو وسيلة الناظم لإبراز الصور الذهنية والمعاني التي تتألف داخل السياق.

لقد أوضح الجرجاني اهمية النحو بقوله " اذ قد كان علم ان الالفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذي يفتحها وان الاغراض كامنة فيها حتى يكون هو (الاعراب) المستخرج لها وانه المعيار الذي لا يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه (...) واذا كان الامر كذلك فليت شعري ما عُذِر من تهاون به وزهد فيه"[12]

فنجد ان الجرجاني ربط القضايا النحوية بحركة اللغة وتصورها من المواضعة الى الانتهاك الذي يصيب دلالة الكلمات فتجمع عناصر الكلمات المفردة لابد ان يتسم بالتأليف من حيث الصوت والتركيب والناتج الدلالي وبهذا يتحقق النظم بمعناه الكامل وعلى هذا لا يأتي النظم من خارج التركيب بل من داخله من خلال ادراك العلاقات بين المفردات.[30]

فالتركيب عند الجرجاني يتمثل بجانبين: العلاقة الاصلية والعلاقات الجديدة التي اضفاها عليه الاستعمال، فتعلق الكلم بعضها ببعض هو ليس الا معاني النحو واحكامه والمتكلم ينتقي منها ويختار فهو يمتلك القدرة اللغوية التي اتيحت له عن طريق النحو، تسمح له هذه القدرة بتوليد عبارات لا نهائية ذلك ان معاني النحو تقوم على فروق ووجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها وكلها من ابداع صاحب اللغة " الذي يتوخى معاني النحو في كل ما ينظمه وينثره"[12]

ويعتمد توليد العبارات اللغوية على ركائز ثلاث:

1- النظم وهو العنصر الاساس الذي يسمح بعملية توليد الجمل والتراكيب المجردة.

2- الصوت: الذي به يتحدد الشكل الصوتي لأي جملة قد تم توليدها.

3-الدلالة: وهي ما يتصل بمعنى الجملة وطريقة تفسيرها من حيث نسبة المعاني الى الموضوعات الشكلية التي نتجت عن العنصر الاول.[30]

وبهذا فقد اعتمد الجرجاني على النحو التقعيديكأساس لأدراك القيمة الحقيقة للصياغة وما يمكن ان يتيحه هذا الدرس من امكانات تركيبية تقترب من الانسان ومقاصده كما انه (الجرجاني) ادرك مستوى الاداء في البناء السطحي والبناء الداخلي دون محاباة لطرف على حساب طرف اخر.[30]

لقد اصبح للنحو مفهوم يحدد مفهوم النص من خلال تركيب الصيغ والعبارات وماله من علاقة بعملية الابداع، فلو نظرنا الى الغرض او المعنى دون النظر الى العلاقات النحوية فإننا نبتعد عن الادراك الحقيق لعملية الابداع.

ان هذه العلاقات القائمة في التراكيب تربطها وتخلقها ادوات نحوية مألوفة. فالجرجاني وفق في تقديم الادوات الكفيلة بالكشف عن جماليات النص من خلال الوقوف عند مستويات اللغة المختلفة (صوتا، حرفاً، نحواً) حيث يلعب النحو دوراً مهماً في وجود النص وتحديد سماته وخصوصياته الجمالية لأن الالفاظ لا تملك خصوصية الا من خلال التركيب النحوي الذي تصاغ فيه.فهذه العلاقة بين معاني النحو والنظم هي الوسيلة لأدراك المعنى من وراء اللفظ وتفهم الغرض من وراء الشكل بل ان النحو هو الذي قاد الجرجاني الى ادراك نظام اللغة الذي يختلف من القرآن الى الشعر الى النثر.[33]

كما تظهر اهمية النحو عند الجرجاني من خلال عد النحو ميزاناً للكلام لا يستقيم معناه الا بمراعاة احكام النحو وقد ادى ذلك الى ان يقول بأن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة مجردة من معاني النحو ومنطوقاً بها.[34]

لقد وقف الجرجاني نفسه للدفاع عن النحو وتبيان خصائصه وارتباطه بنظم الكلام الذي بنى عليه نظريته وأوضح فكرته بإيجاز في مدخل كتابه دلائل الاعجاز بقوله: " هذا كلام وجيز يطلع به الناظر على اصول النحو جملة وكل ما يمكن ان يكون النظم دفعة"[12]

كما يمتاز نحو عبد القاهر الجرجاني في المنهج فمنهجه يختلف عن منهج النحاة في بحث التغيرات التي تطرأ على الجمل من تقديم وتأخير وحذف وذكر ووصل وفصل وغيرها كما يختلف فهمه وتفسيره لها اختلافا كبيراً فقد اعطى هذه الموضوعات حياة فقدتها على يد الذين قللوا من قيمة النحو ونظروا اليه نظرة ضيقة تنحصر في الاعراب والبناء. ويذكر الدكتور ابراهيم مصطفى: " آن لمذهب الجرجاني ان يحيا وان يكون هو السبيل الى البحث النحوي"[27]

فقد اثمرت دراسة عبد القاهر للنحو وخلقت نظرية النظم التي تعد اهم نظرية في النقد العربي القديم.

11- المزاوجة بين المباحث النحوية ونظرية النظم:

يرى عبد القاهر ان الكلام لا يكون في جزء واحد وانه لابد من مسند ومسند اليه وهما ركنا الجملة الاساسيان وانه لا يكون كلام من حرف وفعل اصلاً ولا من حرف واسم الا في النداء فالنظم عنده ليس سوى حكم من النحو نتوخاه:

وقد علمنا بأن النظم ليس سوى حكم من النحو نمضي في توخيه[12]

ويذكر ايضاً: " اعلم النظم ان ليس النظم الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه (...) فلا تخل بشيء منها"[12]

فالنظم يتصل بالمعنى من حيث هو تصور للعلاقات النحوية واذا كانت الالفاظ لم توضع لتعرف معانيها في انفسها فمعنى ذلك ان الفكر لا يتعلق بمعاني الالفاظ في انفسها وانما يتعلق بما بين المعاني من علاقات وهذه العلاقات ليست الا معاني النحو.[30]

ان الاهتمام بالقواعد النحوية كان يمثل الأساس القاعدي لكل نحوي وهو أساس معقد اذا ما انصب الاهتمام حوله منفرداً وهو الامر الذي ادركه الجرجاني حينما أشار الى (معنى النحو) الذي يطلب من الناقد او البلاغي فهماً متكاملاً للسياق ومراميه والربط بين الأفكار والاغراض وهو ما عرف حديثاً بالوظائف النحوية.

فالوظائف النحوية الفاعلية والمفعولية والحالية والخبرية وغيرها تتفاعل مع بعضها بعضاً وتؤثر في تركيب الدلالة المتكاملة لعناصر النص ذلك ان الكلمة تحمل مجموعة دلالات تبدأ من الدلالة المعجمية ثم تتوزع دلالتها بعد ذلك حسب السياق الذي ترد فيه فالكلمة تكتسب دلالتها من تفاعلها مع الكلمات الأخرى في الجملة الواحدة.[7]

وبهذا استطاع الجرجاني ان يدرك بغيته في التوفيق بين الشكل المادي للصياغة والجانب العقلي للمعنى عن طريق الاستعانة بالنحو التقعيدي مع تحويله الى إمكانات إبداعية بالنظر في الصورة النحوية الظاهرة ومسبباتها الوظيفية.

فالفاعل ليس فاعلاً لانه مرفوع وقع بعد الفعل بل لانه قام بالفعل والمفعول ليس لوقعه بعد الفعل والفاعل بل لوقوع الفعل عليه، وهكذا لم يكن اهتمام الجرجاني بالخاصية الوظيفية الا وسيلة لادراكالجانب العقلي من الصياغة.[30]

حينما يتحدث الجرجاني عن النحو فأنه يفرق بين بنيتي النحو المجردة والمحسوسة أي بين القاعدة النحوية ومعناها.[25]، [35]

فهو يتفاعل مع النحو على المستوى السطحي والمستوى العميق وهو منهج من ينتمون الى النحو التوليدي الذين يرون ان اللغة مستويان: سطحي وعميق فالبنية اللغوية العميقة هي الصورة المثالية الكاملة للجملة كما ترسمها قواعد النحو، اما البنية اللغوية الظاهرة فهي الشكل الواقعي الملموس للتركيب وهي بلا شك مستمدة من البنية العميقة التي يسميها عبد القاهر (أوضاع اللغة) او (أصول النحو) وهي مرحلة تخلو من البراءة الفنية التي لا تتحقق الا في المستوى الظاهري للتركيب وهو مستوى التأليف والعلاقات.[28]

لقد اخضع الجرجاني النحو لفكرة النظم بقوله: " ومعلوم ان ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض"[12]. وبالتالي فأن النظم هو توخي العلاقات الروحية بين معاني الكلمات. ومعاني الكلمات لا يراد منها المعاني الافرادية الموضوعة إزاء الكلمة فحسب بل معنى الكلمة في وجودها البياني (الكلام) من رافدين الأول: معنى معجمي وضعي والأخر الوظيفة التركيبية من حيث هي فاعل او مفعول او غير ذلك فقولنا: زيد منطلق. المعنى النحوي فيه هو العلاقة بين معنى (زيد) من حيث هو علم على شخص متعين معلوم للسامع من حيث هو مراد الاخبار عنه من قبل المتكلم بالانطلاق واسناده اليه وبين معنى (منطلق) من حيث هو اسم على حدث متعين معلوم للسامع ايضاً مواضعة ومن حيث هو مراد الاخبار به عن (زيد) ومسنداً اليه وتقريراً لوقوعه منه.

فتنوع هذه العلاقات الروحية بين معنى (زيد) ومعنى (مطلق) تنوعاً لا يكاد يحصر ولكنه تنوع على أصول وقوانين كلية لا تخرج عنها.

لذلك يذكر الجرجاني لهذه العلاقة ثمانية وجوه كلها وجوه وفروق منبثقة من اصل قائم فيها جميعاً. هو اثبات وقوع فعل (الانطلاق) من شخص متعين هو (زيد)، ويبقى لكل وجه ونمط تركيبي خصوصية في الدلالة على معنى زائد على ما هو قائم في جميع هذه الأنماط التركيبية.[31]

فالبلاغة ليست في اسناد (الانطلاق) الى (زيد) في سياق الاثبات على اي نحو من الانحاء بل بلاغته في توخي الوجه التركيبي المتاح لنمط ذلك الاسناد وفق ما يرمى اليه وما يقتضيهالمقام الذي يبين فيه فحيناً تكون البلاغة في (زيد ينطلق) وحينما تكون هذه الجملة غير بليغة بل البليغ في جملة (زيد منطلق) او (زيد هو المنطلق) فلا بد ان يعرف الناظم الفروق بين كل الوجوه ومدى ملائمة كل وجه لما يرمي اليه.[31]

12- الخاتمة:

تتلخص لنا طريقة الجرجاني المتكاملة في التحليل النحوي البلاغي من حيث انها طريقة تهدف الى ادراك علاقة الكلمة بغيرها من الكلمات التي تجاورها او تبتعد عنها واثر ذلك في تغير الدلالة، كما ترمي الى معرفة علاقة الكلمة المذكورة في النص بالبدائل التي يمكن ان تحل محلها ولكنها لم تذكر لهدف جمالي.

فهذه الطريقة تميل الى اعتماد الأسلوب المنطقي في التقريب بين أساليب الكلام كما نرى من خلال هذه الطريقة الجرجاني الاديب الناقد اكثر من كونه لغوياً فهو يشبه نظم الكلام وترتيب الكلمات بنظم اللؤلؤ والجواهر في سمط نفيس ثم يعود ويشبهه بالاصباغ التي تعمل منها الصور حين يؤلف الفنان الماهر ابداع الرسوم والمناظر.

لقد استحق الجرجاني ان يكون صاحب المذهب الجديد في البحث النحوي فقد اثمرت دراسته للنحو نظرية (النظم) التي لا ترى المزية في العلاقات الاعرابية لأواخر الكلمات وانما العماد في ذلك يرجع الى ادراك العلاقات بين الالفاظ في تراكيب معينة تخضع لقوانين النحو الأساسية.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

13- المصادر

[1] الوافي بالوفيات: الصفدي، 2: ص75.
[2] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي، القاهرة، 1963.
[3] خزانة الادب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي، مطبعة بولاق، 1882.
[4] نزهة الالباء في طبقات الادباء: ابو البركات الانباري، تحقيق، احسان عباس، بيروت، ط1، 1994.
[5] وفيات الاعيان: ابن فلكان، 2، ص93.
[6] سير أعلام النبلاء: الذهبي، الجزء: 18.
[7] عبد القاهر في قراءات البلاغيين المحدثين: علاء نور الدين، منشأه المعارف، الاسكندرية، 2007.
[8] لسان العرب: ابن منظور، بيروت، 1968.
[9] تاج العروس: الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، 1306.
[10] اساس البلاغة: الزمخشري، القاهرة، 1953.
[11] المعجم الوسيط: دار المعارف، مصر، 1973.
[12] دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، القاهرة، 1372.
[13] فن الشعر: ارسطو: ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة، 1959.
[14] الخطابة: أرسطو، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة 1959.
[15] المدخل الى دراسة البلاغة العربية: احمد خليل، بيروت، 1968.
[16] الادب الصغير: ابن المقفع، تحقيق: احمد زكي، مصر 1911.

[17] الكتاب: سيبويه. تحقيق: عبد السلام هارون، بولاق، 1316.
[18] الحيوان: الجاحظ : تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1938.
[19] تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة الدنيوري: تحقيق: احمد صقر، القاهرة، 1983.
[20] النكت في اعجاز القرآن: علي بن عيسى الرماني، (ثلاث رسائل في اعجاز القرآن).
[21] بيان اعجاز القرآن: الخطابي، تحقيق : محمد خلف ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، 1968.
[22] المغني في ابواب التوحيد والعدل: (الجزء السادس عشر)، القاضي عبد الجبار الاسد آبادي، تحقيق ايمن الخولي، القاهرة، 1380.
[23] نظرية النظم: حاتم الضامن، دار الحرية، بغداد، 1979.
[24] البلاغة في التطبيق: احمد مطلوب وكامل حسين البصير، دار الكتب، جامعة الموصل، 1999، ط2.
[25] اعجاز القرآن في ضوء اللسان العربي المبين: الدكتور حمزة فاضل، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1998.
[26]تاريخ النقد الادبي: د.احسان عباس، ط1، دار الشروق، الاردن، 1993.
[27]احياء النحو: ابراهيم مصطفى، ط2، القاهرة، 1992.
[28] محاضرات في تاريخ النقد الادبي عند العرب: ابتسام مرهون، وناصر حلاوي، دار ابن الاثير، بغداد، ط2، 1999.
[29] في الميزان الجديد: محمد مندور، القاهرة، 1944.
[30] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1995.
[31] نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني: محمود توفيق محمد،1421، الأزهر.
[32] الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني: احمد علي دهمان، ط2، وزارة الثقافة، سوريا، 2000.
[33] النقد والاعجاز: محمد تخريشي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
[34] عبد القاهر بلاغته ونقده: احمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1973.
[35] من اسرار اللغة، د.ابراهيم انيس، القاهرة، 1966.